كلمات في سيكلوجية الإدمان

التفسير السيكوديناميي لسيكلوجية مدمني المخدرات

يرى هذا الاتجاه أنه لمن الأهمية القصوى أن نحدد – في البداية – ما إذا كان الشخص يلجأ إلى المخدرات بسبب :

١- شقاء خارجي او داخلي (اكتئابي) بحيث يتخلى عنها متى توقفت حاجته إليها لهذا الغرض.
٢- أو ما إذا كان الشخص تحكم نفسجنسيته كلها وتقديره لذاته رغبة في نشوة الشكر.
٣- أو ما إذا كان الشخص أخيراً قد غدت رغبته هذه في نشوة السكر مهددة بالانهيار فيحاول في عجزه عن التأثر بالتأثير السمي العقاقيري للشراب " تعقب سعادة يستحيل بلوغها "

ومما هو حاسم أيضاً ، أن نتبين :

١- ما إذا كان الامداد الضروري ما يزال الشخص يتطلبه من موضوع ومن ثم يكون استخدام المخدر مجرد وسيلة تيسر كسب الموضوع.
٢- أو ما إذا كان المخدر قد غدى في ذاته هو هذا الامداد من ثم يحل الاهتمام بالمخدر محل الاهتمام بالموضوعات (فينخل ، ١٩٦٩).

وعلى أية حال ، فإن السلوك العام للمريض غزاء بيئته يقدم لنا – بدرجة من اليقين – علامة دالة على مدى تفكك علاقاته مع الموضوعات ، فأولئك الذين يشربون في صحبة من الأصدقاء ، يكون تشخيص التطور المقبل عندهم أفضل منه في حالة السكيرين الانعزاليين.
ومهما يكن من أمر ، فإن ما يدفع بعض الأشخاص إلى إدمان المخدرات كما يقول بيرجلر Berger (١٩٤٦) هو الحاجة إلى الحصول على شيء ، هذا الشيء ليس مجرد إشباع جنسي ، بل هو أيضاً أمن ، وطمانة على قيمة الذات ... وعلى ذلك فليس كل من يتعاطي المخدرات يعد مدمناً ، حيث توجد في الحياة البشرية مواقف عديدة تكون فيها الصبابة إلى المخدرات جد مشروعة ، فعندما تستخدم المخدرات كإجراء للحماية ضد ألم عضوي أو نفسي ، ويقلع الفرد بعد زوال الألم عن تعاطي المخدرات ... في مثل هذه الحالات لا يعد الفرد مدمناً ... ذلك أن كلمة الادمان تشير إلى إلحاح الحاجة وعدم الكفاية في النهاية لكل محاولات إشباعها .. وعلى هذا فالمدمن تمييزاً له عن غيره هو شخص يكون لتأثير المخدر لديه دلالة مرهفة آمرة .. بيرجلر Berger (١٩٤٦).

إن مدمني المخدرات شخصيات فمية نرجسية سارية استقبالية مما يرجع إلى احباطات فمية في الطفولة ، وبالتالي تثبيتات فمية أرست التبعية تجاه الموضوعات كموردي امدادات نرجسية ليس غير ، والعشقية الفمية هذه تميزها أخيلة ثلاثة أطلق عليها برترام ليفين الثلاثية الفمية وهي :

١- الرغبة في الالتهام الايجابي (للآخر).
٢- الرغبة في الالتهام السلبي (من قبل الآخر)خ.
٣- الرغبة في الاستغراق في النوم والاستسلام له.

ومدمن المخدرات شضخص يعيش في حالته العادية هذه الثلاثية في شقها السالب ، أي يعيش الاكتئابية والانسحابية والانطوائية وأثناء التخدير تنقلب الثلاثية السالبة إلى نقيضها الموجبة فتغدوا الاكتئابية مرحاً دافقا والانسحابية إقبالاً والانطوائية انبساطاً ، ذلك أن المخدر يحدث له حالة من الزهو المرح من الانغماس في الشعور الجديد بحيث يلتهمه التخدير بدوره .. ويسلمه التخدير إلى النوم والثبات في الشعور الجديد مما يحقق اتحاداً بثدي الأم ... وتحل الأنا العليا محل ثدي الأم المحبوب ... وما دامت الأنا العليا تتصف بالخلود لا شعورياً فباندماجها يتحقق خلود الذات ... كما ان الاندماج فيها يعني الاستسلام إلى كائن مطلق القدرة واسترخاء بين جوانحه ، وفي النهاية فناء فيه في نهوم سعيد لا نهائي . (زيور ، في النفس ، ص ١٩٣ – ٢١٦).

فنشأة الادمان وطبيعته – إذن لا يرجعان إلى مواقف خارجية ضاغطة ينتهي بانتهائها تعاطي المخدر ، ولا يرجعان إلى التأثير الكيميائي للمخدر بل يرجعان بالحري إلى البنيان السيكولوجي للمريض ، بمعنى أن الشخصية التي لديها الاستعداد للادمان هي العامل الحاسم . فالمخدر تكون له عند المدمنين دلالة نوعية تنحصر في تحقيق أو الأمل في تحقيق اشباعات فمية تعيد إليهم عبر نشوة السلطنة احاسيس التقدير بالذات في صورة متضخمة تبلغ القدرة المطلقة والألوهية...

وكما يقول ناثان Nathan (١٩٧٠) فن المدمنين يستشعرون الصبابة الفمية في الحاح على الصبابات الجنسية او الغريزية الأخرى ، إلى حد أن الجنسية الانسالية لا تثير اهتمامهم ، فالانتظام الانسالي قد انحطم وبدا التكوين إلى النرجسية الفمية التي تطيح بالآخرين كموضوعات ، وتخفضهم إلى مجرد موردي إمدادات نرجسية ، فالمدمن لا يحفل إلا بالحصول على إشباعه دون أن يهتم قط بإشباع الرفيق أو بفردية شخصية الرفيق ... (ناثان وآخرون ١٩٧٠ ص ٤١٩ – ٤٣٠) .

وهكذا يتضح لنا أن المنطقة الشبقية المتزعمة لدى المدمن هي المنطقة الفمية فتقدير الذات ، بل الوجود نفسه يتوقفان على الحصول على الطعام والدفء ، ويستشعر المدمن تأثير المخدر على أنه هذا الطعام وهذا الدفء.
ويؤكد ما سبق ، ما يكشفه لنا تحليل مدمني المخدرات عن أن زعامتهم الانسالية تتجه إلى الانهيار وهم الذين كانت زعامتهم الانسالية دائماً مزعزعة وتتكشف في التحليل في صورة مختلطة كل أنواع الرغبات والصراعات الانسالية. حيث أن التوتر النهائي " عديم الشكل " يشبه أبكر مراحل النمو الليبيدي قبل أن يكون هناك أي انتظام على الإطلاق وعلى وجه الدقة يشبه الوجهة الفمية للرضيع الذي كان يتطلب الاشباع دون أي قدرة على العطاء ، ودون أي اعتبار للواقع. وفي الحالات التي يكون فيها تعاطي المخدر عن طريق الفم تكون النزعات الفمية صريحة ومع ذلك فأهم من كل لذة شبقية في " سلطنة التخدير " هو ذلك التصاعد اعلجيب في تقدير الذات فأثناء سلطنة التخدير تلتقي بشكل واضح الاشباعات الشبقية والنرجسية مرة أخرى ، وتلك هي النقطة الحاسمة. (مخيمر ، ١٩٨٦) .

وعلى ذلك نجد أن المدمنين غير متسامحين إزاء التوترات ، فهم لا يستطيعون تحمل الألم والاحباط ، ومواقف الانتظار ، ومن ثم فهم ينتهزون أية فرصة للهرب مرحبين بها ليعيشوا تأثير المخدر كشيء أعظم إشباعاً من الموقف الأصلي الذي قطعه عليهم مقدم الألم أو الاحباط .. وبعد

تحقيق السلطنة يغدو الألم والاحباط أكثر استحالة على التحمل ، فيتمخض ذلك عن تصعيد في استخدام المخدر .. وشيئاً فشيئاً تخلي جميعغ الحفزات مكانها للصبابة إلى العقاقير والمخدرات وتختفي الاهتامات بالواقع ، اللهم إلا هذه الاهتمامات التي تتصل بالحصول على المخدر ... (مخيمر ، ١٩٨٦) .

ويؤكد سيمل Simmel أن استخدام المخدر يمثل في البداية استنماء انسالياً مصحوباً باخاييل ومضامين ولكن تظهر بعد ذلك صراعات تنتمي إلى مستويات اعمق من النمو ، تبلغ في امتدادها إلى الوراء إلى المرحلة الفمية . وذلك يناظر التفكك النكوصي التدريجي للجنسية .
والنقطة النهائية في هذا التفكك تزيد في دلالتها بالتأكيد على الأوضاع الوسيطة .. وقد كشف سيمل أيضاً عن انه بالنسبة إلى مدمني المخدرات يمكن لعضاء البدن ان تمثل موضوعات مستدخلة الأمر الذي يساير أيضاً النكوص الفمي (فينخل ، ١٩٦٩) .
وكشوف " جروس Gross " ١٩٣٥ التي مؤداها حدوث تفكك وظيفي في الأنا العليا وفي التوحدات الأخرى لدى المدمن ، تساير وجهة النظر نفسها حيث أن التوحد هو العلاقة مع الموضوع في المرحلة الفمية .. (دافيسون ، ونيال ، ١٩٧٤ ، ص ٢٤٥).

ومن هنا تبرز العلاقة ما بين إدمان المخدرات وبين الحالات الهوسية الاكتائبية وهذا ما دعى (سيمل) إلى ان يقرر بأن سلطة التخدير ما هي إلا (هوس اصطناعي) يدافع به المدمن ضد خليقته الاكتئابية .. فمدمنوا المخدرات في المراحل الأخيرة من مرضهم ، يعيشون حالات متناوبة عديمة الموضوع من السلطنة ومن اكتئاب الصباح التالي وهو ما يناظر في نهاية الأمر تناوب الجوع والشبع عند الرضيع هذا الذي ما يزال غير متمايز نفسياً بعد (زيور).

ومن هذه الناحية فإن الخمور أقدر من الحشيش على إذابة الأنا العليا – أن جاز القول – وذلك بسبب قدرتها على إزالة الكفوف ، بينما الحشيش يعين بالحري على الانسحاب من الواقع الأيم إلى احلام اليقظة اللاذة...

ولكن اليوم خمر وغد أمر ، وبعد سلطنة الهوس الاصطناعي ، يكون الاكتئاب في الصباح التالي.

وإذا كان المدمن على وعي بخطورة المخدر ، إلا انه يظل حبيس حلقته المفرغة التي تغدو تغوص به أعمق فأعمق فالدورة الهوسية الاكتئابية بين السلطنة والصباح التالي تغدو أقل فأقل انتظاماً فالسلطنة تغدو أقصر فأقصر وتختفي في النهاية بينما الاكتئاب يصبح مستمراً.
وعلى جانب آخر فإذا كان عدد كبير من الباحثين من قبيل فينا نايت Knight(١٩٣٨) ، إبراهام (١٩٢٧) ، بليولر Blealer (١٩١١) ، شاسيل Chassell (١٩٣٨) وكلارك Clark (١٩١٩) ودانليس Daniels (١٩٣٣) ، ساندورفرينزي (١٩١١) وإدوارد جلوفيز (١٩٣٢) وهوش (١٩٤٠) وجيلفي (١٩١٧) وجوليوسبورجر (١٩١٢) وكاريمان (١٩٤١) وكيلهولز (١٩٣٣) ومينجر (١٩٣٨) ، موري (١٩٤١) وريكمان (١٩٢٥) كل هؤلاء يضيفون الجنسية المثلية كعنصر أساسي تكويني في ظهور الادمان عند الرجال مما يرجع في رأيهم إلى إحباط المرحلة الفمية ينتهي بالصبي إلى ان يعرف عن امه إلى ابيه وإذا كان توسك في مقال جد ملئ بالايحاءات قدم تفسيراً لهتر السكاري الارتعاشي على أنه تعبير عن الهياج الجنسي عند المرضى المستثارين شبقيا ولكنهم في نفس الوقت غدوا عاجزين جنسياً

بسبب المخدرات الذين هم في مستوى أعمق مثليو الجنسية ونرجسيون فإن مخيمر قد اعترض على كل هؤلاء وعلى وجود الجنسية المثلية عند المدمن وتقدم بتفسير آخر مؤداه :
" ان الصبيان والبنات – كليهما – نتيجة الاحباطات في المرحلة الفمية يعرضون عن الأم متجهين إلى الأب متخذين من قضيب الأب بديل ثدي – وهذا يعني ان ليست هناك جنسية مثلية حقيقية – فالكحولي عندما يسكر لا تكون الزجاجة التي امامه رمزاً لقضيب حقيقي وإنما القضيب من حيث رمز لثدي الأم (قضيب مرضع) والبنت أيضاً تتحول إلى الب وإلى قضيب الأب كثدي مرضع ومن هنا تكون ظاهرة الفلاشيو – أي مص القضيب – المنتشرة جداص في كل دول العالم المتمدين.

ويضيف مخيمر " بأن الأمر في الحشيش لا يختلف عنه في الكحول طالما أن زجاجة الكحول التي قلنا أنها تمثل رمزاً قضيبياً ليست في نهاية المر غير تعبير عن ثدي الأم هذا الذي يتمثل بصورة ادق في جوزة الحشيش والتي تشبه في شكلها ثدياً استطالت حلمته حتى غدت قضيباً بل ويمكن القول انها تمثل مهبلاً استطال بظره وما اكثر ما نلتقي بحالات في التحليل النفسي يكون تثيبيت الطفل أو الطفلة الصغيرة على قضيب الأم قد يسند سبق هذه المرحلة الفمخية على ظهور بدايات المرحلة الأوديبية او القضيبية كما يسميها البعض . (مخيمر ، ١٩٨٦)

تلك هي الصورة العامة لسيكلوجية مدمني المخدرات من وجهة النظر السيكودينامية والتي عليها مثرة كثيرة من المحللين النفسيين امثال أوتوفينخل (١٩٤٥) وكارل إبراهام Karl Abraham (١٩٢٧) وبول شيلدر (١٩٢٨) وأدوارد جلوفيز (١٩٣٢) ، وغيرهم .. فضلاً عن اتفاق مصطفى زيور معهم ...

الانحرافات الجنسية لدى الرجال
أول ما كتب بالعربية في الجنسية المثلية والنظريات المفسرة لها

مقدمة :

ندرة ليس بعدها ندرة ، فيما كتب بالعربية عن هذا الموضوع الهام .. ويكاد الباحث أن يجزم بأن هذه هي اول محاولة عربية لمعالجة موضوع الجنسية المثلية وكان ما كتبه أستاذي مخيمر بمثابة النبراس الذي أضاء الطريق امام الباحث لتتبلور لديه فكرة عن هذا الموضوع كما كانت إسهامات أستاذتي سامية القطان بأفكارها العميقة والأصيلة حول هذا الموضوع ، وبإمداد الباحث بامراجع العديدة في هذا الصدد ، فكان لها سبق الفضل بان تخرج هذه المحاولة على هذا النحو ...

وفضلاً عن استفادة الباحث مما ترجمه مخيمر في كتاب نظرية التحليل النفسي في العصاب وفي كتاب سيكلوجية المرأة فغن الباحث قد صب كل الجهد على الدراسات والنظريات الجنبية التي عنيت بهذا الموضوع وذلك من قبيل دراسة بيرجلر Bergler (١٩٥٧) عن كون الجنسية المثلية مرض أم طريقة في الحياة ودراسة في التحليل النفسي للسلوك الجنسي لكل من بيهر وداين ودراينس دريليس ، جراند ، جوندلاش ، كريمر ، وريفيكين ، ويلبور ، وكذلك رادو وكذلك دراسة التطورات في التحليل النفسي لكل من كلين ، وهيمان وازاكس وريفير (١٩٥٢) وأيضاً دراسة السلوك الجنسي لدى ذكر الانسان لكل من كينزي وبوميروي ومارتن (١٩٤٨) وكذلك دراسة السلوك الجنسي لدى الرجل مثيلي الجنسية لكل من ساير وروبنز ووالبران (١٩٦٩) . وأيضاً دراسة السلوك الشاذ من وجه نظر نظرية الجينات لروزنيثال (١٩٧٠) . وكذلك دراسة باركر (١٩٦٣) وهي دراسة طبية لمجموعة من الذهانيين ودراسة مقارنة للجينات لدى الذكور مثيلي الجنسية لكولمان (١٩٥٢) وكذلك دراسة عن الهرمونات لدى الذكور والاناث مثيلي الجنسية لكل من لوراين ، آداموبولوس وكيركهام واسماعيل ، ودوف (١٩٧١) وأيضاً دراسة كل من كلولوني وماسترز وهيندركي عن هرمون الذكورة في بلازما مثيلي الجنسية ثم دراسة جاجنون وسيمون عن النشاة الاجتماعية للجنسية لدى الانسان.

وفي البداية سوف يعرض الباحث للجنسية المثلية بوجه عام ... تعريفها مدى انتشارها .. أنواعها .. سلوك مثيلي الجنسية ... ثم يشرح في النهاية أهم النظريات المفسرة للجنسية المثلية من قبيل نظرية التحليل النفسي ، ونظرية التعلم والأسس البيولوجية للجنسية المثلية ، وأخيراً وجهات النظر الاجتماعية المفسرة للجنسية المثلية.

في الجنسية المثلية والنظريات المفسرة لها

تعرف الجنسية السوية بانها اتخاذ الأعضاء التناسلية لفرد راشد بالعضاء التناسلية لفرد راشد من الجنس المخال ف عن رضا وطواعية .. في فعل يعرف بالجماع ويؤدي إلى إطلاق التوتر الجنسي وانطفاء الغريزة الجنسية انطفاء مؤقتاً (وهو إشباع مماثل للشبع في الجوع) (كاشدان ، شيلدون ، ١٩٨٤ ، ص ٨٢).

بيد أننا نكشف – في هذه الجنسية السوية – اهدافاً جنسية تمهيدية من قبيل اللمس والنظر والاستعراض والقبل .. كل هذه النشاطات الجزئية التمهيدية تكون مصحوبة باللذة كما انها تزيد من جهة أخرى ذلك التهيج الذي يجب أن يستمر حتى يتحقق الهدف الجنسي النهائي .. هذه الأهداف الجنسية الجزئية لو اكتمل نموها لو تضخمت تؤدي بالضرورة إلى شذوذات توصف بأنها انحرافات (فرويد ، ١٩٨٠ ، ص ٤٣) .. وكما يؤكد فرويد : فالجنسية المنحرفة ليست شيئاً آخر غير الجنسية الطفلية مضخمة ومفككة إلى مكوناتها الجزئية (فرويد ، ١٩٦٧ ، ص ٣٤٣) .

والجنسية المثلية Homosexuality من اكثر أنواع الانحرافات شيوعاً فتصل نسبة هذا الانحراف في بريطانيا والدول الاسكندنافية بين ١٨ % : ٢٠ % بينما تصل في أمريكا إلى ٥٠ % من كل الرجال واحياناً تصل في بعض الواحات المصرية إلى ٥٠ % .. وهذا الانحراف أكثر شيوعاً في الأماكن الآهلة بنفس الجنس كالمدارس الداخلية والمعسكرات والسجون ، والمعتقلات (احمد عكاشة ، ١٩٧٦ ، ص ٣٤٦) ، ٣٤٧) وفي هذا الانحراف يتخذ الرجل موضوعه الجنسي رجلاً آخر لا امرأة) .

وعلى أية حال فكون الشخص – السوي – يصبح انتقاؤه فيما بعد قاصراً على الجنس الآخر ، فتلك بذاتها مشكلة ... ففي حالة الصبي تكون الصعوبة أقل لأن موضوع الحب الأول وهو الأم من الجنس المخالف ... أما بالنسبة للبنت فتكون المشكلة أكثر تعقيداً لكون موضوع حبها الأول – الأم – من نفس جنسها .....

وحرية انتقاء الموضوع كما يقول جيبهارد Gebhard (١٩٧٢) إنما يمكن إرجاعها إلى " الجنسية الثنائية البيولوجية في الإنسان ..... فهناك هرمونات مذكرة توجد في النساء ، كما توجد هرمونات مؤنثة في الرجال ... كما أنه يوجد في كل جنين البقعة الجينية Anlge لكل من قناة فالوب وقناة مولر على السواء ... ومع ذلك فإن هذه الوقائع وإن كانت ترتبط مع الوقائع الأساسية لنظرية الخلايا إلا أنها لا تتطابق معها ... ذلك أن نظرية الخلايا تذهب إلى أن كل خلية تشتمل على مادة (مؤنث) وعلى عنصر حركي (مذكر) وأن الجنسية خاصية نسبية محضة ... فخلية واحدة بعينها يمكن ان تكون مؤنثة بالقياس إلى خلية أكثر منها ذكورة ، ويمكن أن تكن مذكرة بالقياس إلى خلية أكثر منها أنوثة ... وعلى ذلك فإن لفظ " الجنسية الثنائية البيولوجية " يكون غير قاطع التحديد . (جيبهارد ، ١٩٧٢) .

وأكثر من هذا ففي المجال السيكولوجي ، نجد ان مصطلح الجنسية الثنائية له اوجه ثلاثة كثيراً ما يحدث الخلط بينها مما يؤدي بهذا المصطلح إلى عدم الوضوح ... هذه الأوجه الثلاثة هي :
(أ) أن ينتقي الشخص موضوعاً من نفس جنسه (مثلية) أو من الجنس الآخر (غيرية) .
(ب) إن كان الشخص هدفه إيلاج جزء من بدنه بشكل إيجابي في موضوعه (جنسية فاعلة) أو أن يتم إيلاج شيء في بدنه (جنسية مفعولة).
(جـ) إن كان الشخص بوجه عام لديه اتجاه إيجابي منطلق أو لديه اتجاه أدنى للسلبية (ماري بونابرات ، ١٩٦٩ ، ص ٧٦ وما بعدها).

وعلى ذلك يقرر (فينخل) : ان ما يسمى مذكراً أو مؤنثاً يتوقف على عوامل ثقافية واجتماعية باكثر مما يتوقف على عوامل بيولوجية ، كما أن حفزات إيجابية الأهداف وحفزات سلبية الأهداف توجد عند كل من الجنسين .

ومن ثم يتبادر إلى الذهن سؤال : ما الذي يجعل قدرو انتقاء الموضوعات عند مثلي الجنسية قاصرة على موضوعات من نفس جنسه ؟ هذا بالرغم مما لديه في الأصل – شأنه شان كل كائن بشري – قدرة على انتقاء موضوعات من أي من الجنسين !!!

ومع وعي الباحث بالأهمية الحاسمة التي تلعبها العوامل الجينية الفيزيائية والعوامل البيولوجية الهرمونية إلا انه سوف يعني باستجلاء السباب النفسية لانغلاق الانتقاء الغيري الجنسية للموضوع ...

فعندما نتأمل الواقع نلاحظ أنه في حالة التغيب الواقعي للنساء ... كما هو الحال في السجون أو في السفن ... فإن الرجال الذين كان من الممكن – في ظروف أخرى – أن يظلوا أسوياء .. يقيمون علاقات من الجنسية المثلية وهي ما تسمى في مثل هذه الظروف " جنسية مثلية عارضة " وكذلك فغن هناك سبب آخر استبعد إمكانية تفضيل الرجال مثيلي الجنسية للنساء.

وعند البحث عن هذا السبب الآخر لرفض النساء من جانب الرجال المثيلي الجنسية فإننا نقف على حقيقة مثيرة وهي : كما يقرر ويست West (١٩٦٧) أن هذا الرفض إنما هو رفض انسالي بشكل بارز .. ويؤيد ذلك ان كثير من ارجال المثيلي الجنسية لهم صداقات طيبة مع النساء ولهن لديهم منزلة عالية ويحظين منهم باحترام شديد .. وعلى الرغم من ذلك فإن فكرة تعامل انسالي معهن تكون منفرة أو مرعبة (ويست ، ١٩٦٧ ، ص ٢٥).

ومهما يكن من امر ، فإن اختلاف الأعضاء التناسلية يكون عظيم الأهمية لدى هؤلاء الرجال المثيلي الجنسية .. واكثر من هذا ، فإن علاقات هؤلاء الرجال مع البشر إنما تتحدد في كل صغيرة وكبيرة بالرجوع إلى جنس الآخرين مما يقطع بمعاناتهم لتأثير عقدة خصاء شديدة.

وقد كشف التحليل النفسي للرجال مثيلي الجنسية عن خوفهم من اعضاء الانسال النثوية . فالبنسبة إليهم تكون رؤية كائن بغير قضيب مرعبة إلى حد انهم يتجنبونها وذلك برفضهم أية علاقة جنسية مع رفيق من هذا القبيل .. ويقول فرويد أن الرجال المثلي الجنسية هم من الإصرار على وجود قضيب إلى حد انهم يرفضون انعدامه عند الرفيق الجنسي .. ويزعم اصحاب هذا الانحراف انهم نوع خاص من السلالة البشرية .. كمكا يسمون انفسهم " جنس ثالث " له من الحقوق مثل ما للجنسين الآخرين (فرويد ، ١٩٦٧ ، ص ٣٣٥) .

وعلى أية حال ، فإن رؤية أعضاء الانسال الأنثوية يمكن أن تثير القلق عند الصبي بطريقتين : الول : حيث يؤكد " فرويد " أن معرفة أن هناك كائناً بشرياً بغير قضيب ، يستخلص منها الصبي أنه يمكن أن يصبح هو أيضاً مثل هذا الكائن .. ومثل هذه الملاحظة تضفي فاعلية على تهديدات الخصاء القديمة .

والثانية : حيث ترى كارن هورني Karen Horney أن اعضاء الانسال الأنثوية يمكن غدراكها على انها أداة خاصية قادرة على عض القضيب أو اقتلاعه وذلك لارتباط قلق الخصاء بضروب القلق الفمية القديمة.

وإذا كان الأمر كذلك ، فينبغي ان يكون واضحاً أن صدمة الخصاء – التي تولدها في الصبيان رؤية أعضاء الانسال الأنثوية – ليست بحال خاصية مميزة لمثيلي الجنسية ، حيث أن هذه الصدمة كثيراً ما توجد في تاريخ حياة الرجال غيري الجنسية فالعامل الحاسم إذن هو الاستجابة لهذه الصدمة .. حيث ان الرجال مثيلي الجنسية يستجيبون برفض أية علاقة بهذه المناظر المرعبة بعد ذلك .

وعلى جانب آخر ، يذكر ولف Wolff (١٩٤٢) أن هناك من الرجال مثيلي الجنسية قد حدث لهم في طفولتهم الباكرة تثبيت غير عادي على رجل (وهي حالات يتغيب فيها الوجه الأمومي ويضطلع الب بدور الأم) .. هؤلاء هم الذين ينكصون فيما بعد إلى نقطة تثبيتهم فينتقون رجالاً يذكرونهم بموضوعهم الول ولما كان مثيلو الجنسية لا يستطيعون تحرير أنفسهم من صبابتهم البيولوجية للنساء ولا يستطيعون أيضاً تحمل فكرة وجود كائنات بغير قضيب .. فإن صبابتهم تتجه إلى موضوعاً ذات قضيب فينتقوا صبياناً لهم أقصى ما يمكن من صفات البنات والأنوثة .. كما يكشف فرويد عن ان الرجال مثيلي الجنسية لا يتوقفون في العادة عن الاستثارة الجنسية للنساء ولكنهم ببساطة يكبتون هذا الاهتمام ويزيحون الإثارة التي كانت تحدثها النساء في الأصل على الرجال.

ومهما يكن من أمر ، فغالباً ما تكشف الموضوعات المذكرة لمثيلي الجنسية عن بعض خصائص ام المريض او اخته .. ذلك ان معظم مثيلي الجنسية – كما يقرر فينخل – يكشفون – ليس فحسب – عن حب اوديبي لأمهاتهم ، كما هو شأن العصابيين .. ولكن الأغلب هو أن تكون شدة التثبيت عندهم أكثر بروزاً .. وأحياناً ما لا يكون التفاني في الأم لاشعورياً على الإطلاق ، بل مشاعر يتحدثون عنها بصراحة ..

ويذكر شيلدر Schilder (١٩٢٠) أنه عندما تضلع الأم بالإحباط وتخيب اعضائها الأنثوية الانسالية (المرهوبة) أمل الفرد ، فإنه ينكص من مستوى حب الموضوع إلى مستوى التوحد .. فيصير الفرد هو هذا الموضوع الذي يعجز عن امتلاكه .. ومن ثم فإن مثيلي الجنسية يتوحد مع الأم من زاوية بعينها .. فهم مثلها .. يحب الرجال .. وقد يتم التوحد الفاصل مع الأم لا بوصفه توحداً مع المحبوب .. بل توحداً مع المعتدى .. وذلك عن صبيان شديدي الخوف من امهاتهم.

وعلى أية حال ، فإنه بعدما تم التوحد الفاصل ، يمكن للتطور اللاحق أن يتخذ وجهات متنوعة (فينخل ، ص ٥٨٤ : ٦٠٠) .

(١) فالفرد من نمط أكثر نرجسية منه " انوثة " يجاهد قبل كل شيء للحصول على بديل لحفزاته الأوديبية .. فمتى توحد مع أمه فإنه يتصرف على نحو ما رغب من قبل أن يكون تصرف أمه معه .. هذا النوع من التطور يتمخض عند بعض الأفراد عن " شبقية مثلية فاعلة " فيسعون إيجابياً إلى من هم أصغر سناً كموضوعات .. فينتقون موضوعاتهما شباناً او صبياناً مراهقين هم

انفسهم وقت مراهقتهم ويعاملونهم بحنان شديد .. هؤلا الأفراد يهتمون بأصدقائهم من الرجال اكثر من النساء .. وينتقون موضوعاتهم على اساس من النمط النرجسي وينشغلون بتعليقات سيكلوجية على اصدقائهم .. كما يكرسون انفسهم لأصدقائهم في رعاية حانية (امومية " وبعضهم قد يرتبك عندما يضطر إلى التعامل مع اطفال أو مراهقين ...

(٢) بعد التوحد الفاصل مع الأم ، وعندما يكون هناك تثبيت أستي بحكم اتطور اللاحق ، فإن الرغبة في الاستمتاع الجنسي تتحول إلى رغبة في الاستمتاع الجنسي بنفس طريقة الأم .. ومن ثم يصبح الأب موضوع الحب ، ويجاهد الشخص ليخضع نفسه له .. كما تفعل الأم .. في أسلوب سلبي استقبالي .. وبالتالي يتمخض هذا النكوص الأستي عند الرجال عن زيادة في استجابتهم الأنثوية ، ومع ذلك هو اساس " الشبقية المثلية المفعولة " عند بعض الرجال .. والمرضى من هذا النوع وإن كانوا يتصرفون في الظاهر بطريقة جد حانية ورقيقة ، فإنه من الممكن لاشعورياً أن تحكمهم عدوانية تجاه الوجوه الأبوية .. وهذا ما أوضحه ننبرج Nunberg (١٩٣٨) حيث اوضح أن الخضوع السلبي للأب يستر فكرة لاشعورية قوامها سلب الأب رجولته في هذه الفرصة .. بحيث يعني الجماع المثلي الجنسية خصياً إيجابياً .. وهؤلاء الأفراد متفهمون للنساء واهتماماتهن .. متعاطفون معهن بحيث يبدو عدم وجود فارق بينهم وبينهن .. وبعض مثيلي الجنسية يحكمهم لاشعورياً حب متناقض العاطفة " للصبيان الكبار " الذين يجترئون على عمل أشياء لا يجترئ مثلي الجنسية عليها .. ومن ثم يشتركون في المغامرات الجنسية لهؤلاء الصبيان الآخرين فيتم لهم الاستمتاع الجنسي مع تضاؤل مسئوليتهم .

(٣) وحيث ان التثبيتات النرجسية والأستية يمكن أن تحدث عند نفس الشخص فإن ائتلافات تتحقق من النوعين السابقين من الجنسية المثلية .. فالمصطلحات " الشبقية المثلية الفاعلة " و " الشبقية المثلية المفعولة " ليس لهما غير دلالة نسبية ، فالجنسية المثلية الايجابية في رجل يمكن أن تضطلع بكبت صبابة أعمق من الجنسية المثلية السلبية ، والعكس بالعكس ، وهذان الشكلان يمثلان الغالبية من حالات الجنسية المثلية عند الرجال ولكن أنواعاً أخرى تتحقق بين حين وحين.

(٤) إمكانية أن يستجيب شخص ، نشأ بغير أم ، لصدمة خصاء بفقدانه الاهتمام بالنساء عامة ، وبالعودة إلى الموضوعات المذكرة في طفولته ، وهذا ما سبق الحديث عنه في النقطة الثانية .

(٥) عندما يكون الأنموذج المذكر الباكر هو الأخ الكبر وليس الابن ، فإن التوحد هنا يكون من شأنه التمخض عن حالات " خفيفة " من الجنسية المثلية .. والحب المثلي الجنسية من هذا النوع هو الذي يسهم فيما بعد في تشكيل " المشاعر الاجتماعية " .. فالأشقاء الأصغر عن طريق التوحد مع أشقائهم الكبر يتغلبوا على كراهيتهم الحاسدة بل وينظرون إليهم نظرة ود .. إلى حد انهم يعتبرون نجاحات أشقائهم الكبر نجاحات لهم .. فلا تنافس بين الأخ وشقيقه حيث يمكن اقتسام مجالات النشاط .. وحيث يتم التخلي عن النجاح المحسود عن طيب خاطر للآخر مما يعرف بالايثار ..

نظريات الجنسية المثلية
Theories of homosexuality

وبعد .. فسوف يعرض الباحث الآن لأهم النظريات التي عنيت بتفسير الجنسية المثلية .. وهي نظرية التحليل النفسي ، ثم نظرية التعلم ، ثم الأسس البيولوجية للجنسية المثلية سواء الجينية منها أو الهرمونية ، وأخيراً وجهات النظر الاجتماعية في الجنسية المثلية.

(١) نظرية التحليل النفسي في الجنسية المثلية
The Psychoanalytic theory of homosexuality

باستعراض مؤلفات التحليل النفسي ، نجد العديد من النظريات التي تشرح المحددات المختلفة للسلوك ، ونظريات التحليل النفسي في الجنسية لا تختلف عن ذلك .. ، فكلين Klein ، وهيمان Heiman ، وازاكس Isaacs وريفير Riviere (١٩٥٢) وكذلك بيرجلر Bergler (١٩٥٧) .. كل هؤلاء قد أشاروا حول الجنسية المثلية من أنه لا بد من إمعان النظر Consideration على الأقل – في كيف أن كلا الجنسين من الناس يسبغ بالجنسية Sexualized وبالاجتماعية Socialized في مجتمعنا ..

إن قضيب رجل يكون مرغوباً (مشتهاً) desirable لأنه يمثل الثدي عند نقطة التثبيت على المرحلة الفمية ، وهذه هي القاعدة المنطقية في تفسيرات التحليل النفسي للجنسية المثلية ، ومن ثم فإنه من الممكن اختصار الأمر كله في كلمة واحدة " مخاوف غيرية " Heterophobia مما يعني الخوف من الاتصال الجنسي مع الجنس المخالف ، (بيبر وآخرون ، ١٩٦٢ ، رادو ١٩٤٩) . وهذا الخوف الغيري إنما يرجع بالطبع إلى أحداث هامة في المرحلة الأولى للنمو ...

ويرى الباحث أن قاعدة التحليل النفسي هذه صحيحة ، ولكنها في ذات الوقت تعني أن هذه الجنسية المثلية ليست حقيقية طالماً أن قضيب الرجل يمثل الثدي.
وعلى الرغم من ان فرويد Freud قد أشار إلى ان الانسان يهدأ بمحددات وراثية لتقبل الاتجاه نحو الايجابية Activity أو الذكورة masculirity ونحو السلبية passivity أو الأنوثة Feminity إلا انه لم يعط العناية المطلوبة لهذه التقبلات ، وفي اكثر تنظيراته عن الجنسية المثلية نجد انه قد عالجها على انها سلوك متعلم Learned Behavior .

ويرى الباحث أنه من الأهمية أن نتبين أهمية ما يذهب إليه فرويد وأهم مريديه من حيث التعلق الأوديبي ، وكيف ان المشكلات Dilemma التي توجد في حياة كل فرد ، إنما تتقرر بواسطة الثقافة ومن ثم توجه الفرد إلى تفضيل أي من الجنسين يتمسك به.

ففي الأعوام الأولى يكون الطفل ثنائي الجنسية bisexual والاشباع الليبيدي الذي يحصل عليه من أي شخص يتصل به إنما هو الذي يقرر جنس Gender هذا الطفل ، وفي نجو العام الرابع من عمره ، يلاحظ الطفل ما يسترعي انتباهه ويلفت نظره من اختلافات بين امه وأبيه . وتلح

الرغبات المحارمية Incestuous wishes ويرغب الصبي في ان يحل محل ابيه عند أمه . هذه الرغبات الجنسية لا يتسنى لها الاشباع ويتم إحباطها thwarted ن لذلك فبواسطة تهديدات عقوبية من منافس الأب father – rival تتضح تهديدات غاية في الخطورة تتمثل في الخصاء castration ، ومما يزيد الصراع في بعض الأحيان بعض جوانب السلوك الخلاب Seductive من قبيل الأم وبخاصة عندما يكون الزواج غير سعيد . وفضلاً عن ذلك فإن الأب في بعض الأحيان ينسحب بعيداً عن الأم وعن الطفل ويفشل نتيجة لذلك في إمداد الصبي بانموذج جيد يتوحد معه.

وعندما لا يستطيع الصبي أن يصفي صراعه بكبته لرغبته وتوحده مع أبيه فإنه يجرب الهروب من الصراع الوديبي عن طريق تجنب avoiding العلاقات الجنسية مع النساء . وفي هذا ما يمثل لدى الطفل لاشعورياً عدم تصميمه على ارغبات المحارمية تجاه امه.
أما الأم فهي الأخرى تساهم في هذه المخاوف الغيرية وذلك بمحاولاتها الأكيدة في منع الذكر من الاقتراب من فتاة وإقامة علاقة غيرية معها ، وبذلك فهي تجعل صبيها منغلقاً عليها.

وعندما يصل الصبي إلى مرحلة البلةغ فإن هذا الصراع غير المحدد يعيد تخييلات Fantasize هذا الصبي من أن قضيبه يناله الأذى injured عندما يولج insertion داخل مهبل امرأة.
فإن رؤية أعضاء انسال المرأة ، ولوكنها بغير قضيب يمكن أن تطلق قلق الخصاء ، ذلك الذي يعمل على إقامة أفكار عن إمكانية فقدان الصبي لقضيبه ، ولذلك فإنه يمكن لهذا الصبي أن يقيم علاقات جنسية مع ذكر أخر فقط ، وذلك لأنه يمتلك قضيباً فضلاً عن انه لا يذكره بتهديدات الخصاء .

ومن الممكن أن نفترض – على الأقل – أن اهم أسباب المخاوف الغيرية إنما تظهر بالقطع عندما يتواجد الرجل مع امرأة ، هذه المرأة التي تذكره بأمه ، ومن ثم يكون الجماع intercourse ممكناً مع الغيين Prostitutes ، مع هؤلاء الرجال الذين يتميزون بحدود مختلفة بينهم وبين أم الصبي.

(٢) نظرية التعلم
Learning Theory

مما هو شيق بدرجة كبيرة ، بيان